كلية التربية للبنات / قسم التاريخ

مادة التاريخ الأُموي

الصف الثاني

أ.د. حمّـــاد فرحان حمادي المحمدي prof. Dr. Hammad F Hammadi

محاضرة بعنوان

حركة عبد الرحمن بن الأشعث الكندي Movement Abdul Rahman bin Al Ashath Al kindi .

تعدّ حركة عبد الرحمن بن الأشعث الكندي أهم الحركات التب قام بها أهل العراق صد الحكم الاموي ، بفعل انها هزّت أسس هذا الحكم وكادت أن تقوّضه ، ولن يكن نشوبها على أساس مذهب كما هو الحال في حركات الخوارج والشيعة

والحقيقة أن عبد الرحمن بن الأشعث زعيم قليلة كندة ، واحّد زعماء الكوفة ، استغل العداء العميق المتجذر والحقد الدفين الذي كان يكنّه أهل العراق للحكم الأموي ، وأشعل هذه الحرب الحركات التي كانت إحدى أخطر الحركات التب واجهها عبد الملم بن مروان.

كان الحجّاج بن يوسف الثقفي ، والي العواق ، بعد القضاء على حركات الخوارج في العراق في عام (78هـ). يعمل على تحجيم المعارضة السياسية ، وتشتيت جهودها وبعثرة عناصرها ، تفادياً لأي فشل في مهمته الصعبة.. ولعلّ اهتمامه بالفتوحات الخارجية إلى ما وراء سجستان ، والتعبئة العسكرية الواسعة التي بادر إليها مباشرة بعد تصفية الخوارج ، هي نتيجة لهذه السياسة .

وكان رتبيل ملك كابل قد هزم جيشاً إسلامياً في عام (79هـ) بقيادة عبي الله بن أبي بكرة ، فأحدثت هذه الكارثة وقعاً أليماً في نفس الخليفة الذي كلّف واليه على العراق ، بإرسال جيش لتأديبه .

وفعلاً اعدّ الحجّاج جيشاً ضخماً ، بالغ في تجهيزه ، وعهد بقيادته إلى عبد الرحمن بن الأشعث الذي لم تكن علاقته به جيدة ، وقد عيّنه حاكماً على سجستان ، وأمره بإخضاع رتبيل .

تقدم عبد الرحمن بهذا الجيش في عام (80هـ) بتجاه سجستان ، وهاجم معاقا رتبيا الذب انسحب من امامه ، إلّا انه لم يتمكن من إخضاعه ، نظراً لطبيعة المنطقة الجبال الوعرة ، ثم وجد القائد الأموي نفسه واقعاً في مأزق الإختيار بين الاستمرار في التقدم وراء فلول الترك ، او التوقف والاكتفاء بانتصاراته الجزئية المحدودة حتى يتاح للجند التأقلم مع طبيعة البلاد الجبلية وانتهى إلى قرار بتجميد العمليات العسكرية لمدة سنة .والتراجع إلى بست إحدى مدن سجستان. وكتب إلى الحجّاج بهذا القرار .

الن الحجاج بدافع من خلفيات سياسية ضيّقة ، رفض اقتراح قائده ، وجدّد له الأمر بالزحف وراء القوات التركية ، وهدّده بالعزل إذا خالف ذلك ، شعر ابن الأشعث بالإهانة في مخاطبة الحجّاج له بهذا الاسلوب ، كما أثار أتباعه الذين رأوا في هذه السياسة مؤامرة أخرى ضدّهم للحؤول دون عودتهم إلى العراق، لا سيما وانهم يشكّلون شريحة اجتماعية كبرى ، من الرأي العام المعارض . فكان الموقف في بُست أقرب إلى التشنج . واستقر الرأي أخيراً على خلع الحجّاج . فبايعوا ابن الأشعث وزحفوا باتجاه العراق .

ويبدو أن ابن الأشعث ضرب على الوتر الديني لإثارة الحماس في أتباعه ضد الحجّاج ، متهماً إيّاهُ بأنّه غير متديّن ، مما أثار حفيظتهم بدليل أنهم بايعوه على (خلع أئمّة الضلالة وجهاد الملحدين) .

وهكذا بدأت هذه الانتفاضة وكأنها نتيجة خلاف ديني مع أن دوافعها الحقيقية تتلخّص بما يلي:

1. سياسية بفعل تحجيم المعترضة العراقية .
2. شخصيّة بفعل اختلاف الرؤية في الأمور بين الرجلين .
3. إجتماعية بفعل عدم المساواة بالعطاء بين أهل الشام وأهل العراق ، وبين العرب والموالي ، بالرغم من أن هؤلاء لم يشكّلوا قوّة ضاغطة خاصة على المستوى القيادي.

وعقد ابن الأشعث ، قبل تحركه باتجاه العراق ، هدنة مع رتبيا ليكون أكثر حريّة في التصرّف ، وليؤمّن خط الرجعة له . وتضمّن الاتفاق بين الرجلين أنه إذا انتصر على الحجّاج فسيمنح رتبيل إعفاءً من دفع الجزية طالما بقي في السلطة ، أما إذا حدث العكس فإن رتبيل ليؤمّن له ملجأً لديه .

ولما بلغ الحجّاج خروج ابن الأشعث ، انزعج انزعاجاً شديداً ، وراح يترصد زحفه على مضض ، سيما وانه يعاني من قلّة التجهيزات . لذا طلب مدداً من دمشق على وجه السرعة ، ثم تلقّى أُولى هزائمه في تستر في أقليم خوزستان ، في (شهر ذي الحجّة عام 81هـ) ، فتراجع إلى الزاوية بالقرب من البصرة .

كانت أولى ثمرات هذا الانتصار الذي حققه ابن الأشعث ، دخوله البصرة حيث بايعه أهلها ، لكن الحجّاج انتصر في الزاوية في (شهر محرم عام82هـ) ، واضطر ابن الأشعث إلى مغادرة البصرة ، وعاد الحجّاج إليها .

ويبدو أن ابن الأشعث جدّد انتصاراته التي تزايدت ، ودخل الكوفة ثم غادرها إلى دير الجماجم حيث أقام معسكره في حين نزل الحجّاج دير قرّة بانتظار وصول النجدات من الشام.

كان الخليفة عبد الملك ، في غضون ذلك ، على اتصال دائم بالأحداث المقلقة في العراق ، وأبدى مخاوفه من ازدياد تدهور الأوضاع إلى درجة تفقد معها الخلافة زمام الأمور.

وبناءً على نصيحة مستشاريه ، أرسل إلى ابن الأشعث وفداً يحمل الاقتراحات التالية ، بهدف حل القضية:

- عزل الحجّاج عن العراق ، واستبداله بمحمد بن مروان .
- المساواة في العطاء بين أهل الشام وأهل العراق .
- تعيين عبد الرحمن بن الأشعث على أيّة ولاية يختارها في العراق .

أمّا جماعة ابن الأشعث فقد عدّت عرض الخليفة دليل ضعف ، فرفض. بكل ازدراء ، معتقدين أن ميزان المعركة لا يزال لصالحهم ، بالرغم من ان ابن الأشعث نفسه قبل العرض ، إلّا أنه نزل على حكم جنده .

وأخيراً التقى الجيشان الشامي والعراقي في دير الجماجم ودارت معركة بينهما رحى معركة ضارية في (الرابع من شهر جمادي الآخرة عام 82هـ) ، أسفرت عن انتصار واضح للجيش الشامي وهزيمة ابن الأشعث الذي فرَّ هارباً إلى سجستان ، إلّا أن الحجّاج لم يتركه وشأنه وأجبر رتبيل على تسليمه له . ولما علم ابن الأشعث بذلك انتحر بأن ألقى بنفسه من فوق القصر . وانتهت حركته بموته.